Journal of Humanities and Social Sciences Studies
ISSN: 2663-7197
DOI: 10.32996/jhsss
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/jhsss

JHSSS
AL-KINDI CENTER FOR RESEARCH AND DEVELOPMENT

| RESEARCH ARTICLE

Mentioning the Special after the General in the Holy Quran and its Rhetorical Secrets: A Rhetorical Study

ذكر الخاص بعد العام في القرآن الكريم وأسراره البلاغية: دراسة بلاغية

Dr. Roqaya Ibrahim Al-Haaj Badri Muhammed
Assistant Professor of Rhetoric and Criticism, College of Science and Arts, Dhahran Al-Janoub, King Khalid University, Saudi Arabia
Corresponding Author: Dr. Roqaya Ibrahim Al-Haaj Badri Muhammed, **E-mail**: rhaj@kku.edu.sa

| ABSTRACT
Verbiage is considered one of the distinct rhetorical methods we must take into account in our speech and writing. There are many types of verbiage. One of the most important is to mention the private after the public. The public is mentioned after the private, Where they play an essential role in directing the Qur'anic discourse, its significance and explanation, Characteristics of the rhetorical miracle of the Holy Quran, And they strengthen the meanings and confirm them. Verbiage does not have the main purpose of prolonging, but it comes to a benefit that the place requires. For rhetorical purposes understood from the context and evidence of conditions, In this research, I will work on highlighting these rhetorical aesthetics, Associated with the detailed book and the perfect model in our Arabic rhetoric.

| KEYWORDS
The Holy Quran, Verbiage, Mention the private after the public, His rhetorical secrets

الملخص:
يُعدُّ الإطناب من الأساليب البلاغية المتميّزة ، التي لابد من مراعاتها في كلامنا وكتاباتنا ، وللإطناب أنواع متعددة ، من أهمها ذكر الخاص بعد العام ، وذكر العام بعد الخاص ، حيث يؤديان دوراً هاماً في توجيه الخطاب القرآني ودلالته وشرحه ، ويُبيّـنان مواطن الجمال البلاغي ، وخصائص الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، ويُقويّان المعاني ويؤكدّانها . والإطناب لا يكون الغرض الرئيسي منه هو الإطالة ولكنه يأتي لفائدة يتطلبها المقام ، ولأغراض بلاغية تفهم من السياق وقرائن الأحوال ، وسأعمل في هذا البحث على إبراز هذه الجماليات البلاغية ، المرتبطة بالكتاب المُحكم المفصّل والأنموذج الأمثل في بلاغتنا العربية .

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم - الإطـناب - ذكر الخاص بعد العام - أسراره البلاغية

| ARTICLE INFORMATION

ACCEPTED: 30 August 2022 **PUBLISHED:** 13 September 2022 **DOI:** 10.32996/jhsss.2022.4.4.8

المقدمة

ذخرت البلاغة العربية بالأساليب البديعة ، والدُرر الثمينة ، لا سيما وهي تنبع وتتدفَّق من منبعها الصافي ، و معينها الذي لا ينضب أبداً ؛ القرآن الكريم منشأ اللغة والفصاحة والبلاغة ، فحينما يخاطب العرب الفصحاء يُوجِز ويقصِّر ، وحين يخاطب اليهود يُطنب ويطوّل ، كلٌ حسب ما يقتضيه حاله ، فالبلاغة هي مراعاة مقتضى حال السامعين .

وللإطناب مواضع يحسُن فيها ، فيضيف للكلام معانٍ وأغراض بلاغية لا يعرفها إلا متمرس باللغة ، وكذلك للإيجاز مواضع يحسُن فيها ، فكلاهما بليغ في موضعه ومقامه الذي يقتضيه.

Copyright: © 2022 the Author(s). This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC-BY) 4.0 license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/). Published by Al-Kindi Centre for Research and Development, London, United Kingdom.

المبحث الأول

مفهوم الإطناب

الإطناب لغةً

(طَنَبَ : الطَّنَبُ والطُّنُبُ معاً : حبل الخِباء والسرادق ونحوهما ، وعسكر مُطْنُب: لا يُرى أقصاه من كثرته ، وأطْنَبت الريحُ : إذا اشتدت في غبار ، وأطْنَبتْ الإبل إذا تبعَ بعضها بعضاً في السير ، وأطْنَبَ في الكلام : بالغ فيه ، والإطنابُ المبالغة في المدح أو الذم والإكثار فيه ، وفرسٌ في ظهره طَنَبٌ : أي طُول ، والإطنابُ : البلاغة في الوصف مدحاً أو ذماً) ([1]) .

وعلى هذا فإن حملناه على مقتضى مسمّاه كان معناه المبالغة في إيراد المعاني ([2]) .

الإطناب في اصطلاح البلاغيين

وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ([3]) ، فهذا حدُّهُ الذي يميزه عن " التطويل " ، إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة ([4]) .

أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوصاف البلغاء ، لفائدة تقوية وتوكيد المعنى ([5]) .

وعرّفه العلوي بأنه: (تأدية المقصود من الكلام بأكثر من عبارة متعارف عليها) ([6]) .

ويمكننا أن نستنتج من خلال التعريفين أن المعنى اللغوي لا يختلف علن المعنى الاصطلاحي ، فكلاهما يعني التكثير والمبالغة في الشيء .

وكما تقدّم أنّ الإطناب هو تأدية المعنى بعبارات زائدة ، سواء أكانت هذه الزيادة كلمة أو جملة ، بشرط أن تحقق هذه الزيادة غرضاً بلاغياً ، وللإطناب صور منها ([7]) ؛ ذكر الخاص بعد العام ، والغرض البلاغي من هذا النوع من الإطناب هو التنبيه على فضل الخاص وزيادة التنويه بشأنه ، حتى كأنه ليس من جنس العام ([8]) .

وقال صاحب الإيضاح : (وأمّا بذكر الخاص بعد العام ؛ للتنبيه على فضله حتى كأنّه ليس من جنسه ؛ تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات) ([9]) .

المبحث الثاني : ذكر الخاص بعد العام في القرآن الكريم وأسراره البلاغية

قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ([10]) .

أي واذكروا تفضيلي إياكم على العالمين ، وهذا التفضيل نعمة خاصة فعطفه على نعمتي ، عطف خاصٍ على عام ، لتفصيل النِعم وتعدادها ففي تعدادها غناءٌ عن الأمر بالطاعة والامتثال ، والغرض من ذلك الحثُّ على الاتسام بما يناسب تلك النعمة ويستبقي ذلك الفضل ([11]) ، وزيادة في تفضيلهم على غيرهم من الأمم .

قال تعالى : **﴿ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾** ([12]) .

قوله تعالى : **﴿ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾** جاء بعد ذكر الملائكة من باب ذكر الخاص بعد العام ، بغرض التشريف والتعظيم لهذين الملكين على وجه الخصوص ([13])

قال صاحب التحرير والتنوير : (وخُصَّ جبريل بالذِكر لزيادة الاهتمام بعقاب معادية ، وذكر معه ميكائيل ، ولعلهم عادوهما معاً) ([14]) .

قال تعالى : **﴿ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾** ([15])

([1]) لسان العرب ، ابن منظور ، صححه أمين محمد عبد الوهاب ، و محمد الصادق العبيدي ، (8/205-206) مادة (طَنَبَ) ، ط الثالثة 1999م ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

([2]) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير ، علق عليه د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانة ، القسم الثاني ، ص344 ، ط2 ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

([3]) في البلاغة العربية ، علم المعاني ، د. عبد العزيز عتيق ، ص 187 ، ط 1 ، 2009م ، دار النهضة العربية بيروت لبنان .

([4]) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير ، علق عليه د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانة ، القسم الثاني ، ص344.

([5]) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيد أحمد الهاشمي ، تحقيق د. يوسف الصميلي ، ص 201 ، المكتبة العصرية صيدا بيروت .

([6]) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي (3/ 318) ، ط1914م ، مطبعة المقتطف بمصر .

([7]) الكافي في البلاغة البيان والبديع والمعاني ، أيمن أمين عبد الغني ، ص 389 ، الدار التوقيفية للتراث القاهرة .

([8]) في البلاغة العربية ، علم المعاني ، د. عبد العزيز عتيق ، ص 190.

([9]) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، الخطيب القزويني ، ص 151 ، ط 1 ، 2003م ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

([10]) سورة البقرة ، الآية (47) .

([11]) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، (1/ 483) الدار التونسية للنشر ، 1984 م .

([12]) سورة البقرة ، الآية (98) .

([13]) الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة ، ص 29 ، ط 1 ، 2002م ، دار الآفاق العربية ، القاهرة .

([14]) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، (623/1) .

أي لايأمرك الشيطان بما فيه خير وإنما يأمركم بالمعاصي والمنكرات وما تناهي في القبح من الرذائل ، وأن تفتروا على الله بتحريم ما أحلّ لكم وتحليل ما حرّم عليكم ([16]) ." السوء " يتناول جميع المعاصي و" الفحشاء " ، أقبح المعاصي ، وهو من باب عطف الخاص على العام ([17]) ، وذلك لزيادة التنفير من إطاعة الشيطان .

قال تعالى : ﴿ **وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَابِ وَٱلْحِكْمَةِ** ﴾ ([18])

﴿ **مِّنَ ٱلْكِتَابِ وَٱلْحِكْمَةِ** ﴾ أي اذكروا فضل الله عليكم بهدايتكم للإسلام ، وما أنعم به عليكم من القرآن العظيم والسنة المطهرة ، ﴿يعظكم به ﴾ أي يرشدكم ويذكركم بكتابه وهدي رسوله إلى سعادتكم في الدنيا والآخرة ([19])

وهذا من باب عطف الخاص على العام ، لأن النعمة يُراد بها نعم الله ، والكتاب والسنة من أفراد هذه النِعم ([20])

والمقصود بذكر النعم الشكر عليها ، وخصص الكتاب والسُنة للتنويه بفضلهما ودورهما في هداية المسلم دون غيرهما من النعم .

قال تعالى : ﴿ **حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ** ﴾ ([21])

أي حافظوا على الصلوات بأدائها تامة كما أمر الله ، وحافظوا على الصلاة الوسطى بين الصلوات وهي صلاة العصر ([22])

خُصت الصلاة الوسطى بالذكر بعد أن ذُكرت مدرجة في الصلوات ، فهذا من قبيل ذكر الخاص بعد العام ([23]) ، وذلك للتنبيه على ما لها من مزية وفضلٍ([24]) ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**الذي تفوته صلاة العصر ، كأنّما وُتِـــرَ أهلهُ ومالهُ**) ([25])

قال تعالى : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْيَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ** ﴾ ([26])

شعائر الله محارمه التي حرّمها ، أي لا تُحلوا محارم الله التي حرّمها تعالى ، (ولا الشهر الحرام) يعني تحريمه والاعتراف بتعظيمه وترك ما نهي الله عن تعاطيه فيه من الابتداء بالقتال ، وتأكيد اجتناب المحارم ، ولا تتركوا الإهداء إلى البيت فإنّ فيه تعظيماً لشعائر الله ، ولا تتركوا تقليدها في أعناقها لتتميز به عما عداها من الأنعام ([27]) .

" القلائد " يُراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البُدن ، وعطفت على الهدي للاختصاص ، وزيادة التوصية بها ، لأنها أشرف الهدي ، كأنه قيل : " والقلائد منها خصوصاً " ([28]) ، وهذا من باب عطف الخاص على العام لبيان شرفها وعظم قدرها عند الله .

قال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ ([29])

أي له تعالى وحده يخضع وينقاد جميع المخلوقات بما فيهم الملائكة ، فهم لا يستكبرون عن عبادته ، يخافون جلال الله وعظمته ، ويمتثلون أوامره على الدوام . وفيه ذكر للخاص بعد العام ، بغرض زيادة التعظيم والتكريم للملائكة الأطهار ([30])

أي والملائكة خصوصاً من بين الساجدين لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم ([31])

قال تعالى : ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ ([32]).

([15]) سورة البقرة ، الآية (169) .

([16]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (114/1) ، ط4 ، 1981م ، دار القرآن الكريم بيروت .

([17]) الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة ، ص 39 .

([18]) سورة البقرة ، الآية (231) .

([19]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (148/1) .

([20]) الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة ، ص 47 .

([21]) سورة البقرة ، الآية (238) .

([22]) المختصر في تفسير القرآن الكريم ، جماعة من علماء التفسير ، ص 39 ، ط 3 ، 1436هـ ، مركز تفسير للدراسات القرآنية ، الرياض .

([23]) من بلاغة النظم القرآني دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم د. بسيوني عبد الفتاح ص 225 ، ط 1 2010م مؤسسة المختار للنشر والتوزيع .

([24]) من بلاغة القرآن المعاني والبيان والبديع د. محمد شعبان ،د. نعمان شعبان ، ص144 ، ط2، 1998م ، الدار العربية للنشر والتوزيع .

([25]) صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، ص 143 كتاب مواقيت الصلاة ، باب إثم من فاتته العصر ، ح رقم 552 ، ط 1 2002م

([26]) سورة المائدة ، الآية (2)

([27]) تفسير القرآن العظيم ، محمد بن إسماعيل بن كثير ، تحقيق سامي محمد ،(3/ 9 ، 10) ، ط 2 ، 1999م ، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض .

([28]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله بن عمر الزمخشري ، علّق عليه خليل مأمون ، ص 227 ، ط3، 2009 ، دار المعرفة بيروت لبنان .

([29]) سورة النحل ، الآية (49) .

([30]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (129/2)

([31]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله بن عمر الزمخشري ، ص 574 .

([32]) سورة النحل ، الآية (90)

العدل هو الإنصاف ومن الإنصاف الإقرار بمَن أنعم علينا والشكر له على أفضاله ، والإحسان هو الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى ، وفي الشدة والرخاء ، وذلك هو أداء فرائضه ، وإيتاء ذي القربي الحقَّ الذي أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم [33] .

وخُصَّ الله بالذكر من جنس أنواع العدل والإحسان نوعاً مهماً يكثر أن يغفل عنه الناس ، ويتهاونوا بحقه أو بفضله وهو إيتاء ذي القربي [34] ، وعطف الخاص على العام هنا جاء بغرض الاهتمام بشأن ذي القُربي ، لأن لفظ الإحسان هنا عام يشمل معنى الإحسان في كُلِ ، ولكل شيء .

قال تعالى : ﴿ **وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا** ﴾ [35] أي يخوّف أولئك الكافرين الذين نسبوا لله الولد ؛ عذابهُ الأليم [36] .

فيه إطناب بذكر الخاص بعد العام ، وذلك لتبيين شناعة دعوى الولد لله ، وفيه من بديع الحذف وجليل الفصاحة [37] . لأنَّ الإنذار في قوله تعالى : ﴿ لِيُنْذِرَ بأساً شديداً﴾ [38] قُصد به إنذار الكافرين جميعهم ثم في هذه الآية اختصَّ نوعاً من الكافرين وهم الذين يدعون الولد لله تعالى .

قال تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ** ﴾ [39]

أي وصيّرناهم أئمة يهتدي بهم الناس في الخير ، يدعون الناس إلى عبادة الله وحده بإذن منه تعالى ، وأوحينا إليهم أن افعلوا الخيرات ، وائتوا الصلاة على أكمل وجه ، وأدّوا الزكاة [40].

فيها عطف للخاص على العام ، لأنَّ الصلاة والزكاة من فعل الخيرات ، وإنما خصهما بالذِكر تنبيهاً لعلو شأنهما وفضلهما [41]

قال تعالى : ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [42]

أي هذه سورة عظيمة الشأن أوحينا بها إليك يا محمـــد ، وأوجبنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعياً ، أي أنزلنا فيها آيات تشريعية واضحات الدلالة على أحكامها [43]. هذا من باب ذكر الخاص بعد العام ، للعناية والاهتمام [44] .

في قوله تعالى : ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ دلالة على نزول السورة كاملة مشتملة على كل آياتها ، ثم قوله : ﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ اختص بعض الآيات بالذكر بعد أن ذكر لفظ " سورة " وذلك لما فيها من الأحكام الواجبة النفاذ ، تنبيهاً للعناية والاهتمام بها أكثر من غيرها من الآيات .

قال تعالى : ﴿ **لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [45]

الذين في قلوبهم مرضٌ هم الزناة وأهل الفجور ، والمرجفون ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله فيقولون هُزموا وقُتلوا ، فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين ، المعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم ، والفسقة عن فجورهم ، المرجفون عمّا يؤلفون من أخبار السوء ؛لنأمرنك بأن تفعل الأفاعيل التي تسوءهم وتنوءهم ، بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء من المدينة [46] .

في قوله تعالى : ﴿ **لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ... وَٱلْمُرْجِفُونَ**﴾ المرجفون هم مِن المنافقين ، فعمَّم ثم خصَّص زيادةً في التقبيح والتشنيع عليهم [47] . لما لهم من أثر سيئ على نفوس المؤمنين أكثر من غيرهم من المنافقين ، فخصّهم تقبيحاً لفعلهم وتشنيعاً بهم .

قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ [48]

([33]) تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري تحقيق د. عبد الله عبد المحسن ، (344/14، 335) ، ط12001م ، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية ، دار هجر للطباعة والنشر القاهرة .

([34]) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، (256/14) .

([35]) سورة الكهف ، الآية (4)

([36]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (182/2) .

([37]) الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة ، ص171 .

([38]) سورة الكهف ، الآية (2) .

([39]) سورة الأنبياء ، الآية (73) .

([40]) المختصر في تفسير القرآن الكريم ، جماعة من علماء التفسير ، ص 328.

([41]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (271/2).

([42]) سورة النور ، الآية (1) .

([43]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (325/2) .

([44]) الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة ، ص203

([45]) سورة الأحزاب ، الآية (60) .

([46]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله بن عمر الزمخشري ، ص865 .

([47]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (540/2) .

([48]) سورة الأحقاف ، الآية (15) .

أي أمرناه أن يُحسن إليهما ، فقد حملته أمه على مشقة ووضعته في مشقة ، وقد دلت الآية على أن حق الأم أعظم لأنه تعالى أولا ذكرهما معاً ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ ثم خصَّ الأم بالذكر وذلك يدل على أن حقها أعظم ، وأن وصول المشاق إليها بسبب الولد أكثر (49) . ولزيادة العناية والاهتمام بشأن الأم (50) . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، مَن أحقُّ الناس بحُسنِ صحابتي ؟ قال : أُمكَ . قال : ثم مَن ؟ قال : أُمكَ . قال : ثم مَن ؟ قال : أُمكَ . قال : ثم مَن ؟ قال : ثم أبوكَ**) (51)

قال تعالى : ﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ**﴾ (52)

أي الذين جمعوا بين الإيمان الصادق ، والعمل الصالح ، وصدقوا ما أنزل الله على رسوله محمـد تصديقاً جازماً لا يخالجه شك ولا ارتياب ، وهو عطف للخاص على العام ، والنكتة فيه تعظيم أمره والاعتناء بشأنه ، إشارة إلى أنّ الإيمان لا يتمُّ بدونه (53) .

قال تعالى : ﴿ **فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ** ﴾ (54)

أي فيها الفواكه المختلفة الألوان والطعوم والروائح ، وفيها النخل التي يطلع فيه أوعية الثمر ، وقد أفرد النخل بالذكر لشرفه ونفعه رطباً ويابساً والأكمام هي أوعية الطلع (55) . وقد اختصه بالذكر مع أنه داخل في الفاكهة ، لبيان شرفه وفضله .

قال تعالى : ﴿ **يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ (56)

أي يرفع الله المؤمنين بامتثال أوامره و أوامر رسوله والعالـــمين منهم خاصة درجات (57) . وقد جاء عطف الخاص على العام تنبيهاً على شرفه ، فإنَّ الذين أوتوا العلم دخلوا في المؤمنين أولاً ثُم خُصوا بالذكر ثانياً تعظيماً لهم وبياناً لفضلهم (58) .

قال تعالى : ﴿ **تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ (59) .

فَهِيَ مَعَارِجٌ جَعَلَهَا اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ فَقُرِّبَ بِهَا مِنْ مَنَازِلِ التَّشْرِيفِ، فَاللَّهُ مُعْرَجُ إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ ، والرُّوحُ :هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمُوَكَّلُ بِإِبْلَاغِ إِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِذْنِهِ ، وَتَخْصِيصُهُ بِالذِّكْرِ لِتَمْيِيزِهِ بِالْفَضْلِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ (60) .

قال تعالى : ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ (61)

هو حكاية قول المسؤولين عنهم ، فالمسؤولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين ، فيقولون قلنا : ما سلككم في سقر ؟ أي أنهم لم يكونوا متصفين بخصائل الإسلام من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ثم ارتقوا من ذلك إلى الأعظم وهو الكفر والتكذيب بيوم الجزاء (62) .

قوله تعالى : ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ خصَّه بالذِكر مع أنّه داخل في الخوض بالباطل مع الخائضين ، وذلك لبيان تعظيم هذا الذنب (63) . فهو من أعظم الذنوب لأن عدم تصديقهم بيوم القيامة والجزاء ، هو سبب عدم التزامهم بأداء الصلوات وإيتاء الزكاة ، وعدم التصدق على المسكين وغيرها من أفعال الخير ، لذلك خُصَّ بالذكر صراحةً .

قال تعالى : ﴿ **إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ**﴾ (64)

---

(49) تفسير الفخر الرازي ، المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، محمد الرازي ، (14/28) ، ط1 ، 1981م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(50) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (202/3) .

(51) صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ،كتاب الأدب ، باب مَن أحقُّ الناس بالصحبة ؟ ، ح رقم 5971 ، ص 1500.

(52) سورة محمد ، الآية (2) .

(53) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (206/3) .

(54) سورة الرحمن ، الآية (11) .

(55) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (294/3)

(56) سورة المجادلة ، الآية (11) .

(57) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله بن عمر الزمخشري ، ص1089 .

(58) الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة ، 343 .

(59) سورة المعارج ، الآية (4) .

(60) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، (157/29) .

(61) سورة المدثر ، الآية (46) .

(62) البحر المحيط ، محمد يوسف أبي حيّان الأندلسي ، تحقيق عادل أحمد ، علي محمد ، (371/8) ، ط 1، 1993م ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

(63) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (482/3) .

(64) سورة العصر ، الآية (3).

أقسم الله تعالى بالعصر على أنّ الإنسان في خسارة وهلاك ، واستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بجوارحهم ، وتواصوا بالحق وهو أداء الطاعات ، وترك المحرمات ، وتواصوا بالصبر على المصائب والأقدار وأذى مَن يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر ([65]) .

ذُكر الخاص بعد العام في قوله تعالى : ﴿ **وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ** ﴾ بعد قوله : ﴿ **وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ** ﴾ ، فإنّ الصبر داخل في عموم الحقّ ، إلا أنّه أفـــــرده بالذِكر ؛ إشـــــادةً بفضيـــــلة الصبر ([66]) .

وقد وردت في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تبيـّن فضل الصبر ،وعِظم أجره عند الله كما في قوله تعالى :

﴿ أُولَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ ([67]) . وقوله : ﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ ([68]) .

قال تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ ([69]) .

المراد بالنصر ، نصرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش ، وقيل : نصره على مَن قاتله مِن الكفّار ، وأما الفتح ؛ فهو فتح مكة ، وقيل : فتح المدائن والقصور ، وقيل : فتح سائر البلاد ([70]) .

ذكر الخاص بعد العام (**نصر الله والفتح**) نصر الله يشمل جميع الفتوحات ، فعطف عليه (فتح مكة) تعظيماً لشأن هذا الفتح ، واعتناءً بأمره ([71]) . لأن فتح مكة فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أن فيه عزة للمسلمين لأنها كانت من ديار الكفر ، وقريش التي حاربت دعوته صلى الله عليه وسلم بكافة الوسائل .

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ **وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ ([72]) .

(قل أعوذ بربِّ الفلق) الصُبح . (من شرّ ما خلق) من حيوان مكلّف ، وغير مكلّف ، وجماد ، كالسُمّ وغيره ، (ومن شرّ غاسقٍ إذا وقب) أي الليل إذا أظلم ، والقمر إذا غاب ، (ومن شر النفاثات في العُقد) السواحر اللاتي تنفث التي تعقدها في الخيط ، تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق ، (ومن شر حاسد إذا حسد) أظهر حسده وعمل بمقتضاه ([73]) .

قوله : (مِن شرّ ما خلق) تعميم في كل ما يُستعاذ منه ، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد ؟ قلتُ : قد خُصَّ شر هؤلاء من كل شرٍ لخفاء أمره ، وأنّه يلحق الإنسان من حيث لايعلم ، كأنما يُغتال به ، وقالوا : شر العُداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر ([74]) .

وقد ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على عظم شـــــرّ هؤلاء الثلاثة ، والاستعاذة من شرورهم .

الخـــــــاتـــــــمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمـــد وعلى آله وصحبه أجمعين

تناول هذا البحث موضوعاً مهماً من موضوعات البلاغة العربية ، وقد زادت أهميته ، وعلت مكانته وشَرُف بارتباطه بالقرآن الكريم ؛ ألا هو مبحث الإطناب عموماً وذكر الخاص بعد العام على وجه الخصوص ، وقد تتبعته في آيات القرآن الكريم مبيـّنةً لأسراره وأغراضه البلاغية التي يجيء عليها وفقاً لما يقتضيه المقام أو مقتضى الحال ، وما يحيط بهما من قرائن وسياق ، فيؤدي استخدامه فيها إلى تقوية المعنى وتوضيحه ، وفصاحته ، وقد ذخرت الآيات القرآنية بهذا النوع من الإطناب مع تعدد موضوعات الآيات واختلافها ، وتعدد الأغراض البلاغية التي أتى عليها .

([65]) مختصر تفسير ابن كثير ، إسماعيل بن كثير ، اختصار الشيخ محمد كريم راجح ، (758/2) ، ط7 ، 1999م ، دار المعرفة بيروت لبنان .

([66]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (3 / 601) .

([67]) سورة القصص ، الآية (54) .

([68]) سورة النحل ، الآية (96) .

([69]) سورة النصر ، الآية (1) .

([70]) الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، تحقيق د. عبد الله عبد المحسن ، (539/22) ، ط1 ، 2006 ، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .

([71]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (3/ 616) .

([72]) سورة الفلق ، الآيات (1 – 4) .

([73]) تفسير الجلالين ، ص 604 ، ط 1420هـ ، دار المعرفة دمشق سوريا .

([74]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله بن عمر الزمخشري ، ص 1230 .

وقد توصلت إلى النتـــــــــائج التالية :

1/ كثـــــــــر ذكر الخاص بعد العام في القرآن الكريم .

2/ تعددت الأسرار البلاغية لذكر الخاص بعد العام في القرآن الكريم ما بين تعظيم لشأن الخاص والاعتناء بأمره ، أو بيان فضيلته وتمييزه عن غيره ، أو لبيان شرفه وعظم قدره ، أوللعناية والاهتمام به ، أو تقبيحه والتشنيع عليه ، على اختلاف موضوعات الآيات .

3/ استخدام هذا الأسلوب في الكلام يضيف إليه قوةً ووضوحاً ، وجمالاً تعبيرياً ، وفصاحةً .

4/ توزع عطف الخاص على العام في حوالي إحدى وعشرين آيةً ، على مدار سور المصحف .

(هذا البحث تم دعمه من خلال البرنامج البحثي العام بعمادة البحث العلمي – بجامعة الملك خالد – المملكة العربية السعودية رقم المشروع 271-1443هـ) .

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : المراجع

1/ الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة ، ط 1 ، 2002م ، دار الآفاق العربية ، القاهرة .
2/ الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، الخطيب القزويني ، ط 1 ، 2003م ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
3/ البحر المحيط ، محمد يوسف أبي حيّان الأندلسي ، تحقيق عادل أحمد ، علي محمد ، ط 1، 1993م ، دار الكتب العلمية بيروت لنبان .
4/ التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، 1984 م .
5/ تفسير القرآن العظيم ، محمد بن إسماعيل بن كثير ، تحقيق سامي محمد ، ط 2 ، 1999م ، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض 6/ تفسير الفخر الرازي ، المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، محمد الرازي ، ط1 ، 1981م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
7/ تفسير الجلالين ، ط 1420هـ ، دار المعرفة دمشق سوريا .

8/ الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، تحقيق د. عبد الله عبد المحسن ، ط1 ، 2006 ، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .
9/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري تحقيق د. عبد الله عبد المحسن ، ط12001م ، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية ، دار هجر للطباعة والنشر القاهرة .
10/ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيد أحمد الهاشمي ، تحقيق د. يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية صيدا بيروت .
11/ صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب إثم من فاتته العصر ، ح رقم 552 ، ط 1 2002م
12/ صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، ط4 ، 1981م ، دار القرآن الكريم بيروت .
13/ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، ط1914م ، مطبعة المقتطف بمصر .
14/ في البلاغة العربية ، علم المعاني ، د. عبد العزيز عتيق ، ط 1 ، 2009م ، دار النهضة العربية بيروت لبنان .
15/ الكافي في البلاغة البيان والبديع والمعاني ، أيمن أمين عبد الغني ، الدار التوقيفية للتراث القاهرة .
16/ الكشاف عن حقائق التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله بن عمر الزمخشري ، علّق عليه خليل مأمون ، ط3، 2009 ، دار المعرفة بيروت لبنان .
17/ لسان العرب ، ابن منظور ، صححه أمين محمد عبد الوهاب ، و محمد الصادق العبيدي ، مادة (طَنَبَ) ، ط الثالثة 1999م ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .
18/ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير ، علق عليه د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانة ، القسم الثاني ، ط2 ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر .
19/ المختصر في تفسير القرآن الكريم ، جماعة من علماء التفسير ، ط 3 ، 1436هـ ، مركز تفسير للدراسات القرآنية ، الرياض
20/ مختصر تفسير ابن كثير ، إسماعيل بن كثير ، اختصار الشيخ محمد كريم راجح ، ط7 ، 1999م ، دار المعرفة بيروت لبنان .

21/ من بلاغة النظم القرآني دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم د. بسيوني عبد الفتاح ، ط 1 2010م مؤسسة المختار للنشر والتوزيع .
22/ من بلاغة القرآن المعاني والبيان والبديع د. محمد شعبان ،د. نعمان شعبان ، ط2، 1998م ، الدار العربية للنشر والتوزيع .